



البيعة الشرعية أساس الوحدة الوطنية

لا شك أن مقصد الشرع من إقامة نظام الحكم الإسلامي على أساس من ميثاق البيعة الشرعية هو تمكين المسلمين من القيام بشعائر دينهم وتنفيذ أحكامه في دولتهم باستقرار أوضاعهم الحياتية من جهة واطمئنانهم على أرواحهم وأموالهم وأغراضهم وسيادة العدل والمساواة في مجتمعهم وجمع شملهم ورعاية مصالحهم إلى غير ذلك مما يشمل هذا المقصد الشرعي العام من فروع وجزئيات. ومن المعلوم أنه لا يمكن تحقيق هذا المقصد إلا في ظل إمام تسلم إليه الأمة مقاليد أمورها في إطار من العقد التبادلي الذي تترتب عنه التزامات على الإمام نحو رعيته وحقوق له عليه. ولذلك حرم الاسلام نقض بيعته أو شق العصا عليه أو التشويش على مهمته واعتبر من حاول ذلك مبتغيا للفتنة بين المسلمين مزعزا لاستقرارهم ومفرقا لجماعتهم، عاملا على تقويض الوحدة الوطنية لبلادهم فكان عقابه في الدنيا هو القتل وفي الآخرة هو العذاب الأليم كما هو مقرر شرعا.

ومعلوم ان سياسة الدين والدنيا قد ارتبطت في تاريخ الأمة الإسلامية برعاية مصالح العباد والبلاد وما يصلح شأنهم في الحال والمآل ولذلك جرى بين العلماء والأمراء وأهل الرأي في أزمنة كثيرة نوع توافق على ما يحفظ الأمن الروحي والسياسي للأمة ويصون وحدتها من التمزق والخلاف ويجنبها إثارة الفتن الداخلية والخارجية (1).

البيعة الشرعية : إلزام والتزام

إذا كان نظام البيعة- كما هو مقرر- عبارة عن عهد وميثاق فإن العهد يجب الوفاء به ولا يجوز التهاون فيه. إذ هو من الأمور الأساسية في الإسلام التي أمرنا الله بالتشبث بها مهما كانت الظروف

¹- دليل الإمام والخطيب والواعظ: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط 2006 ص 42.



ومهما وضعت العقبات في الطريق قال تعالى " وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم " (1) وقال " ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما "2

وإذا كان الأمر كذلك فإن البيعة وهي من أكد العهود وأوثق المواثيق تعبر عن مفهومي الإلزام والالتزام ، إلزام المسلمين بالسمع والطاعة للإمام الحاكم وبعدم منازعته الأمر فمن نكث في شيء من ذلك ، بأن طالب مثلا الإمام بالتخلي عن بعض سلطاته أو بأن يكون مجرد رمز للدولة فهو ناكث للبيعة ، وفي مقابل ذلك التزام الإمام الحاكم بتطبيق الشريعة الإسلامية وسياسة المسلمين بالعدل طبقا لنصوص الكتاب والسنة.

وهكذا، لا يمكن تصور البيعة بمفهوم العهد الخالي من الالتزام ، إذ يتنافى ذلك مع مفهوم الحكم في الإسلام ويتناقض مع النصوص الواردة في معنى البيعة من حيث الالتزام المتبادل. وبالرجوع إلى كتب السيرة النبوية يتبين أن المرات التي تمت فيها المبايعة لرسول الله ﷺ كثيرة ومتعددة وقد أخذت صيغا مختلفة تجاوزت بنودها مع الظروف التي أملت البيعة ومع وضع المبايع " بفتح الياء " وما كان الإسلام ينتظره منه (3) ، ومن أشهر البيعات بيعة العقبة الأولى والثانية وبيعة الرضوان ، ولكنها تعبيرات عن معاهدات تبرز صور الالتزام المزدوج والتمسك به من طرفي عقد البيعة. ومن أجل ذلك أثرت عن بعض الصحابة أكثر من بيعة لكونهم شهدوا أكثر من موقع حاسم تطلب تجديد البيعة والالتزام ، ولذلك يوب الإمام البخاري للموضوع فقال : باب من بايع مرتين ، وأخرج فيه أن سلمة قال : " بايعنا النبي ﷺ تحت الشجرة فقال لي : يا سلمة ألا تباع ؟ قلت : يا رسول الله قد بايعت في الأول قال : في الثاني (4) . وقد أخرج مسلم في صحيحه حديث سلمة بن الأكوع مطولا وفيه أن سلمة بايع رسول الله ﷺ ثلاث مرات يوم الحديبية. (5)

ومن بين ما يترتب عنه العقد التبادلي الذي يجمع الإمام برعيته التزام الإمام بحفظ الدين والدفاع عن تعاليم ضد كل زيغ أو زلل والقيام بجميع ما يلزم ليقى الدين محروسا والوطن محميا مع العمل على

1- النحل 91.

2- الفتح 10.

3- يراجع على سبيل المثال: سيرة ابن هشام 1/442-2/201 والرقيق المختوم ص 380-390.

4- صحيح البخاري ، كتاب الأحكام، باب من بايع مرتين ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد .

5- صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة ذي قرد ، رقم الحديث 132.



المحافظة على الأمن واستتباب السلم بين المواطنين لكي ينصرفوا إلى مصالحهم ويأمنوا على أرواحهم وأموالهم، وهو ما يتعزز أكثر بتحسين الثغور وحراسة الحدود ، ومن شأن كل هذه الالتزامات تعزيز الوحدة الوطنية التي تعتبر من أبرز الثوابت الوطنية التي ترسخ مبدأ حب الوطن والحفاظ عليه. فنظام البيعة ينطلق إذن من الحرص على الوحدة والجماعة وهو الحرص الذي أَلح عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة مناسبات نبه فيها إلى أن "يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار" (1) و "أما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه" (2).

على ان الحرص على الوحدة نابع من أن هذه الوحدة قائمة على أساس ثابت وصحيح لا يمكن أن يتسرب إليه الشك والظن. وقد قال الرسول ﷺ: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم." (3)

وتعد هذه الحقائق من البدهيات المعلومة من دين الاسلام بالضرورة، لأنها ثابتة بالأدلة القطعية فلا بد إذن أن يكون الامام المبايع عارفاً بخطورة منصبه وكيف عليه أن يحفظ الدين ويسوس الناس على مقتضى الشريعة السمحة حسب الاوامر والنواهي. وما تجدد من الأحداث والوقائع فعليه أن يستعين على ذلك بالمشورة وما تم التوصل إليه فهو الحق عليه تنفيذه، وعل الناس اتباعه وطاعته فيه، فعن المسيب بن رافع قال: كان اذا جاء شيء من القضاء ليس في الكتاب ولا في السنة سمى صوافي الامراء فرفع اليهم فجمعوا له أهل العلم فما اجتمع عليه رأيهم فهو الحق (4) والإمام بهذا وبفضل ميثاق البيعة الذي يجمعه برعيته يحقق هدفا ساميا مطلوباً في كل دولة وهو تعزيز الوحدة الوطنية وترسيخ ركائز السيادة والأمن ووحدة التراب الوطني، فالمسؤول عن كل ذلك هو الامام المبايع لأنه هو الممثل لجميع الأمة التي بايعته والمسؤول عن حمايتهم في نفوسهم ودينهم وأبنائهم وارضيتهم ووحدة كلمتهم.

وإذا تصفحنا التاريخ وجدنا أن أية أمة عاشت اضطرابات وفتناً وفوضى ما أنقدها منها إلا اجتماعها على بيعة إمام يحمي حدودها ويصون ثغورها ويسدد أحوالها. فالبيعة الشرعية أساس قيام الوحدة

1 - رواه الترمذي في كتاب الفتن من سننه عن عبد الله بن عمر (ض) رقم الحديث 2167 وراجع عارضة الأحوذى لابن العربي 27/5.

2 - رواه النسائي في سننه: باب " قتل من فارق الجماعة". رقم الحديث : 2982

3 - رواه ابن ماجة في كتاب الفتن عن أنس بن مالك (ض)، حديث رقم 3940.

4 ابن القيم: اعلام الموقعين 84/1.



الوطنية وهي التي مكنت في الماضي كثيرا من دول الاسلام من البقاء والصمود ومنحتها السبل المؤدية إلى الرقي والازدهار.

مفهوم الوحدة الوطنية

تعتبر الوحدة الوطنية ركيزة من ركائز مقومات الوطن وأساسا من أسس تطوره وتقدمه وهو نتيجة تلاحم الشعب مع قيادته، كما أنها الأساس في استقرار الدولة ونمائها، يقوم عليها البناء الوطني السليم وتشكل هدف التنمية السياسية وغايتها الأولى. وهي تمثل بحق أهم الثوابت الوطنية وأكثرها إلحاحا وحيوية. إنها تبرز قصة الحضارة التي تتوالى فصولها مع تعاقب الحكم على البلاد مما يجعل من قيمة الانتماء الوطنية أمرا مسلما له جذوره التاريخية وامتداداته التي تُشكّل نظام البيعة لحمايتها وضمان استقرارها. وتعتبر الوحدة الوطنية قيمة من القيم الوطنية الخالدة التي يعمل الجميع شعبا وحكومة وقيادة على تقويتها والحفاظ عليها، فهي من مكتسبات الوطن ومعيار التميز والاعتبار.

وإذا كان القانونيون يعرفون الوحدة الوطنية بأنها اتحاد مجموعة من البشر في الاقتصاد والاجتماع والتاريخ والهوية في مكان واحد وتحت راية حكم واحد فإن مفهوم الوحدة الوطنية في البلد الإسلامي الذي يستمد الحكم فيه مشروعيته من الاسلام يتجاوز المفهوم القانوني السائد وذلك باعتبار الدين مكونا أساسا من مكونات الوحدة الوطنية، كما أن راية الحكم لا يستظل بها أي حاكم وإنما يستظل بها إمام بايعته الأمة وفق الشروط الدينية المنصوص عليها، وهذا ما تتميز به إمارة المؤمنين ببلادنا التي تصطبغ بمجموعة من العوامل التي تعد من مسلمات الوحدة الوطنية، من أبرزها:

(أ) قيامها على نظام البيعة الذي هو عقد حقيقي يتم بين الامام والامة يستمد منه الامام سلطته

وتترتب عليه التزامات لعلها أبرزها التعاون بين الطرفين من أجل تحقيق الوحدة الوطنية

(ب) استمرارها نتيجة تاريخ عريق يجسد روابط تاريخية عميقة ربطت عبر الأجيال أسرة حاكمة

بشعبها وفق أبهى صور التلاحم والتوافق والتراضي.

(ت) قيامها على وحدة المذهب والعقيدة والسلوك الروحي في استناد تام إلى الكتاب والسنة.

(ث) تعزيز الأمن بالصورة التي تجعل البلد بمنأى عن الاضطرابات والفتن والفوضى. وتعتبر المحافظة

على الأمن بجميع أشكاله مقوما مهما من مقومات الوحدة الوطنية.



ج) ترسيخ ونشر قيم المحبة والألفة والتسامح بين أبناء الوطن ونبذ مظاهر العنف والشقاق والخلاف.

ح) ازدياد التعلق بالوطن لازدياد الطمأنينة فيه، وهي الطمأنينة الباعثة على الإقبال على التعمير النافع وتحقيق الرخاء والازدهار للوطن. والنصوص الشرعية الدالة على أن محبة الأوطان جزء من الإيمان كثيرة ووفيرة نذكر منها ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر فأبصر درجات المدينة أوضع ناقته -أي أسرع بها- وإذا كانت دابة حركها." ⁽¹⁾ قال الحافظ ابن حجر في الفتح: " وفي الحديث دلالة على فضل المدينة وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه." ⁽²⁾

آليات تحقيق الوحدة الوطنية

تعتبر الوحدة الوطنية من أهم الثوابت الوطنية التي تحظى بالأولوية على كثير من الاهداف والغايات الوطنية الاخرى، وهي تركز في مفهومها على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: الجانب المعنوي او السيكولوجي الذي يرتبط بالمواطنين ووحدهم وتماسكهم أي ما يتعلق بتعظيم الروابط التي تشكل نسيج الانتماء وقوام اللحمة بين عناصره ومكوناته، وأساس هذه الروابط دائما الانتماء وحب الوطن والرغبة في العيش المشترك.

الثانية: الجانب المادي القانوني الذي يرتبط بالأساس بوحدة الدولة وتكاملها وقيام نظم قانونية ودستورية ومؤسسية تكفل الحفاظ على وحدة الوطن وتماسك الشعب وترابط مقوماته.

من هنا تأتي أهمية الوحدة الوطنية في استقرار الدولة ونمائها. وأي مساس بها من شأنه أن يقوض السلم الاجتماعي وبالتالي تراجع عملية التنمية السياسية برمتها. وإذا كانت هناك اختلافات بين جماعات تنتمي إلى نفس الوطن لكنها تختلف في تكوينها وطبيعتها فإن الأمر يتطلب توفير سبل التعايش في اطار من التسامح والحرية المسؤولة بين مختلف

¹ - رواه مالك في الموطأ، كتاب الحج، باب: من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة. -
² فتح الباري لابن حجر العسقلاني: 727/3



التكوينات والجماعات على اختلاف طبيعتها والولاءات التي تمثلها، وهذا الإطار من التسامح يستدعي حتما نبذ العنف والتطرف والتخلي عن أساليب الكراهية مع احترام الخصوصية والهوية الوطنية وما يمثله ذلك من أولوية تقدم على كافة الولاءات والانتماءات الأخرى في الدولة.

ولتحقيق ذلك التماسك والتكامل تبرز وسائل وأساليب متعددة تدور كلها حول تعميق الرغبة في العيش المشترك بين مختلف مكونات وقطاعات المجتمع والعمل على تلطيف حدة الاختلافات بين العناصر والشرائح المتنوعة بما يجعل التعدد والتنوع مصدر غنى وقوة وليس مصدر تهديد أو تقويض تعاني منه الدولة. ويمكن الإشارة إلى مجموعة من أدوات التنشئة وآليات تحقيق الوحدة الوطنية من خلال ما يلي:

أولاً: الأسرة، وتعتبر أهم المؤسسات الاجتماعية التي تنتج الوجدان الثقافي والتربوي عن طريق مجموع القيم والأخلاق التي تنشرها على سائر أفرادها وتلقنهم إياها على اعتبار كونها تشكل الآداب العامة الواجب مراعاتها والمقدسات الاجتماعية التي ينبغي احترامها والالتزام بها، والأسرة هي التي تتولى صياغة شخصية الطفل فتخلق لديه منذ طفولته أبعديات ولاءه وانتمائه وأولويات توجهه ومشاعره وتشكيل وجدانه التي تنمو وتتطور لديه لتجعل منه المواطن الصالح الذي ينشده المجتمع.

ثانياً: الخطاب الديني

يعتبر الوطن وحدة منتجة تتداخل فيها عدة عناصر عبر التاريخ لغوية ومعرفية وثقافية لكن يبقى الدين هو الساهر لها جميعاً تحت إمرة الإمام في نسيج اجتماعي واحد، لذلك فالخطاب الديني هو الأجدر بحمل رسالة تعزيز الوحدة الوطنية بما يملكه من إمكانات روحية في التخليق بالتصورات والمفاهيم المنشودة. فالمؤطر الديني بما هو نائب عن الإمام في وظيفته الدينية عليه ان يخرط في المحافظة على النسيج الاجتماعي للوطن ويعمل على تقويته وتنميته وتعزيز مفهوم (الرحم الوطنية) بما يدل عليه من وحدة النسيج الاجتماعي ووحدة الوطن.



ولا شك أن قيام المؤطر الديني بتعزيز الوحدة الوطنية والمواطنة بمرجعيتها الدينية يعتبر من أهم المعالم التي يجب أن تؤطر العمل الإرادي والتوجيهي في عصرنا، والوطن بما يصبغ به من خصوصية ذاتية على كل المستويات العمرانية والدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية في حاجة إلى خدمة دائمة في هذا الجانب أي التربية على ترسيخ وتعزيز المفاهيم المرتبطة بوجود خصوصياته⁽¹⁾

ثالثا: الاعلام: ولا تخفى أهمية الدور الذي يقوم به الاعلام المكتوب والمرئي والمسموع في توحيد صفوف الأمة وتماسكها وترابط عناصرها خصوصا في وقت الازمات فضلا عن دوره في تعزيز وحدة الوطن وسيادة الدولة وسموها وحماية مقدماتها واركائها الاساسية، ويتعاضد دور الاعلام في توجيه الشباب وتوعيتهم في مجال تعزيز التماسك الوطني وتقوية الشعور بالانتماء والولاء للوطن كولاء ذي اولوية على ما عداه من ولاءات وانتماءات.

رابعا: التعليم، حيث تعمل المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها على نحو مهني ونظامي على غرس وتطوير قيم المواطنة وحب الوطن وخاصة في المستويات التعليمية الابتدائية والثانوية التي تحرص على تربية التلاميذ على التشبث بالهوية الوطنية واحترام الانتماء الوطني والولاء للوطن وتنميته من خلال ترسيخ قيم الاخلاص والصدق والوفاء والتماسك ونبذ عوامل العنف والتطرف والخيانة والكراهية. لذلك فالمؤسسات التعليمية التي هي بالدرجة الأولى مؤسسات تربية تمثل الملاذ الروحي والمعرفي للتلاميذ وتقوم بتزويدهم بالقيم الدينية والوطنية الملائمة التي تدفعهم الى الاعتزاز بالهوية الدينية والوطنية والتشبع بمبادئ الوحدة الوطنية مع القدرة على تمثلها وتعزيزها.

المقاصد الجامعة لنظام البيعة في تحقيق الوحدة الوطنية

¹ دليل الامام: مرجع سابق : ص 74



من خلال استعراض بنود ومعطيات التطبيقات الأولى لعقد البيعة في العهد النبوي نجد أن بيعة العقبة الثانية عند ما قدم على مكة في السنة الثالثة عشر من البعثة ثلاثة وسبعون من أهل يثرب لمبايعة الرسول ﷺ كانت هذه البيعة أول نواة لانطلاقة وحدة الدولة الإسلامية حيث توحد بها الأنصار ووجد فيها المهاجرون المنفذ للفرار بدينهم والاستعداد للحاق بإخوانهم في يثرب.

فهذه البيعة شكلت إذن المنطلق السياسي لتكوين وحدة الدولة الإسلامية خصوصا وأن العقد كان ذا شقين استوثق فيه كل واحد من طرفيه لنفسه من خلال نصره الطرف الآخر والحفاظ على تنفيذه بحسن نية.

ويظهر كذلك المثل الأسمى لوحدة الدولة من خلال بيعة الرضوان في آخر السنة السادسة من الهجرة، وهي البيعة التي كانت فتحا عظيما ولبنة أساسية في توحيد الأمة الإسلامية إذ لم تمض سنتان حتى أتى النبي ﷺ إلى مكة في عشرة آلاف من أصحابه بعد أن أتى إلى صلح الحديبية في ألف وأربعمائة من رجاله⁽¹⁾.

وبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ومن خلال عقد البيعة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه تمت المحافظة على وحدة الدولة وتعزيز الشعور والسلوك داخل مجتمع إسلامي موحد يحكم القرآن والسنة وتسوده راية دولة موحدة قوية حيث قطعت بيعة أبي بكر رضي الله عنه الطريق على كل خلاف كان سيعصف بالأمة الإسلامية ثم توليته عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهد الخلافة دعما لوحدة الدولة وسيادة لواء العدل.

وهكذا يتبين أن نظام البيعة بما يحمله من مبادئ وقيم كفيل بأن يعزز تحقيق وحدة الأمة والوطن. لأن الصلاحيات والالتزامات المنوطة بالإمام المبايع تفرض عليه إحقاق الحقوق وإقرار العدل وتدبير شؤون الرعية بما يحفظ أمنها وطمأنيتها وهو ما من شأنه أن يرسخ قيم الوحدة الوطنية، إذ من المعلوم أن التشبث بالإسلام عقيدة والإمامة حكما والوحدة

¹ سيرة ابن هشام 272/3



الوطنية دولة وشعبا كلها مبادئ تستمد قوتها من قدسية الدين وهيمنته على حياة الناس والمجتمع.

لذلك فمن المقاصد الجامعة لنظام البيعة في تحقيق الوحدة الوطنية أن البيعة ترمي إلى الوحدة في مواجهة التجزئة والفرقة كما أنها تعزز نظام الدولة الواحدة في مواجهة الانظمة القبلية. وهي -أي البيعة- تؤسس بذلك لمفهوم الأمة في مقابل العشيرة كما أنها تحقق النظام في مواجهة الفتنة والفوضى. فضلا عن ذلك فنظام البيعة يسعى إلى تمتين التوافق التاريخي بين القمة والقاعدة بفعل متانة الثوابت الدينية والوطنية المجمع عليها من جميع هيئات الأمة.

ومن أجل إبراز أثر نظام البيعة في تعزيز الوحدة الوطنية لا بد من الوقوف عند جملة من التنظيمات الشرعية المعززة لحكم الإمام وتدييره لشؤون الرعية بما يحقق التلاحم الوطني والوحدة الوطنية، وهذه التنظيمات يمكن حصرها في الشورى- المناصحة- العدل- والأمن الروحي.

1) الشورى وهي: "كل تشاور يؤدي إلى مناقشة الآراء المختلفة ويمكن من الترجيح

والمفاضلة بينها واختيار أقربها إلى مقاصد الشريعة ومبادئها".⁽¹⁾

فالشورى أو الاستشارة قاعدة من قواعد الشرع وعزيمة من عزائم الأحكام وركن من أركان الحكم في الإسلام. لذلك اتفق العلماء على اعتبار مشورة أهل الرأي والتجربة والحكمة من أساسيات الإمارة وسنن السلطنة، وقد أكد الامام القرطبي في تفسيره أنه بالنظر إلى ذلك وجب على الامام أو ولي الأمر مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما أشكل عليهم من أهل الدين ومشاورة وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب واستشارة وجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ومشاورة وجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها.⁽²⁾

¹ عبد الله الجراري: الاسلام والشورى، مجلة دعوة الحق المغربية العدد 7، السنة 1990/13 ص 27
² تفسير القرطبي: 250/2



إن البيعة الشرعية مرتبطة بالشورى أشد ما يكون الارتباط ولذلك قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفرهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) ⁽¹⁾ وفي آية أخرى (وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ⁽²⁾. ولا شك أن التنصيص على مبدأ الشورى في آيتين من القرآن مكية ومدنية وأقوال الرسول ﷺ وأفعاله له دلائل قاطعة على أن الشورى قاعدة من القواعد التي يقوم عليها نظام الحكم في الإسلام .

وينبغي أن تكون الشورى في مختلف القضايا والأمور العامة التي تم حياة الأمة الإسلامية ابتداء من تكوين هيئة الشورى واختيار الحكام والولاية الصالحين مما يعرف اليوم بالجهاز التنفيذي إلى تطبيق الأحكام على الناس بما يتفق ومبادئ القرآن والسنة والقوانين المسنونة وذلك في رقابة متبادلة بين الحاكمين والمحكومين.

(2) النصيحة والمناصحة.

وهي من قواعد النظام السياسي في الإسلام ومن مميزات السياسة الشرعية بحيث يقدم أهل الفضل والمعرفة والرأي الحصيف من الأمة النصح لإمامها كما يوجه الإمام النصح لأئمة، إذ النصيحة جوهر الدين وحقيقته حيث ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم". ⁽³⁾ مما يعني أن النصيحة حق واجب على الأمة التي لا يستقيم أمرها بغير تناصح وتوجيه ورقابة مما يندرج في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصداقا لقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر). ⁽⁴⁾

¹ آل عمران 159

² الشورى: 38

³ - صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ: الدين النصيحة. رقم الحديث: 57

⁴ التوبة 71



إقامة العدل:

أي المساواة بين المسلمين بل بين الناس جميعا من غير تفريق أو تمييز ودون التأثير بعصبية أو عاطفة مهما كانت امثالا لقوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل). ولا شك أن إقامة العدل بين مختلف طبقات الأمة على اختلاف المستويات والمواقع يعتبر من قواعد النظام السياسي والإسلامي ومقاصده. فمن العدل إشاعة أنوار الحرية وتيسير حياة الناس والإنصاف في الحكم وعدم التمييز وكل ذلك مما يحفظ للأمة تماسكها وتآلفها ووحدها ويقوي روابط الاعتزاز بين أفرادها، وبذلك يتبين أن إقامة العدل من طرف الإمام المبايع يجعل مختلف شرائح الأمة راضين ومطمئنين، لأن يد العدالة التي تحكمهم تسوي فيما بينهم جميعا، وبالتالي لا مجال لحصول التفرق أو التحزب بل إن الجميع ملتئم وملتحم حول وحدة الوطن وبيعة الإمام.

تعزيز الأمن الروحي:

الأمن الروحي يقابل الأمن المادي الذي يهدف إلى حماية الأشخاص وممتلكاتهم والحيلولة دون الوقوع في الفتن، وبالرغم من أهمية الأمن المادي في الاستقرار وتعزيز الوحدة الوطنية إلا أن الأمن الروحي الذي يكفل الإمام حفظه وضمانه له أهمية قصوى في سياق الحديث عن أثر نظام البيعة في تعزيز الوحدة الوطنية، فالأمن الروحي به تحصل الطمأنينة والسكينة التي تأتي نتيجة ممارسة الشعائر الدينية وفق نمط يقع عليه إجماع الأمة ضمن اختيار لثوابتها الدينية. فيكون من نتائجها الحتمية نبذ العنف والتطرف والاعتداء على الحرمات، ومن نتائجها أيضا تربية الفرد ليكون مطيعا لخالفه صالحا في مجتمعه فيعم الرخاء وتسود الطمأنينة ويحصل الأمن الروحي والأمن المادي على السواء قال تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)⁽¹⁾

¹-الأعراف: 96



ومن المعلوم أن للأمة المغربية في ظل امارة المؤمنين اختيارات مذهبية وسياسية آثرت أن تكون أساس وحدتها ومدار اجتماع كلمتها في الشأن الديني والسياسي فاحترامها وحفظها والدفاع عنها مما دعت إليه الشريعة ودلت عليه الأصول والقواعد الكلية في الدين لأنه لا تتم وحدة الأمة وتعزيز الأمن الروحي في ظلها إلا بذلك⁽¹⁾.

خلاصة:

هكذا إذن يتبين أن البيعة تعبر عن أمرين:

الأمر الأول: تكوين قاعدة سليمة للوحدة الوطنية من خلال التعبير عن إرادة الحياة المشتركة في ظل مجتمع تجمع مقومات روحية ودينية وثقافية وتاريخية. وهذه المقومات هي القاعدة الحقيقية للوحدة الوطنية، والأمة التي تشعر بتقارب في مكوناتها سرعان ما تشتاق إلى وحدة في كيانها السياسي تحقق به ذاتها وتدافع به عن مصالحها. والوحدة الوطنية واقع وشعور ولا يمكن للإرادات الشاذة أن توقف حركة الحياة في تطلع فطري وغريزي يبحث عن الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي في ظل الجماعة المتعاونة والمتكاثفة والمتعاقدة على تكوين وحدة وطنية.

الأمر الثاني: المشاركة الفعلية في تكوين ظروف الاستقرار من خلال البيعة الشرعية للإمام.

فالبيعة الشرعية بما هي علاقة تعاقدية ارادية بين الامام والأمة عندما تتم يلتزم كل طرف بما توجهه هذه العلاقة التعاقدية من آثار. ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

(1) عهد متبادل ديني وشرعي بأن يحترم كل طرف ما يوجبه عقد البيعة من التزامات وكل من أحل بالتزامه فقد أحل بما عاهد عليه.

(2) اعتبار الإمام حاميا للوحدة الوطنية، فلا يملك حق التفريط بتنازل أو مساومة ليست عادلة عن جزء من بلاده، لأن البيعة الشرعية تلزمه بأن يحافظ على وحدة البلاد.

¹ - دليل الإمام ص 45.



(3) إدانة كل سياسة تهدف إلى الإساءة للوحدة الوطنية، واعتبار ذلك مما يسيء لمصلحة الأمة. وقد استخدم الفقه الإسلامي كلمة (البغاة) للتعبير عن ارادة البعض في تفويض وحدة الأمة بالانفراد عن جماعة المسلمين بما يهدد الأمن والاستقرار.

وحاصل الأمر أن البيعة الشرعية هي عقد أمان وعقد ثقة واستقرار وهي أخذ وعطاء واحترام متبادل يعبر عن تعلق القاعدة بالقامة والقمة بالقاعدة على حد سواء. وهي سبيل للاستقرار وتحقيق الوحدة الوطنية والحفاظ على الحوزة الترابية. وهي أي البيعة- إنما تقوم في اطار وطن موحد وأمة واحدة ذات خصائص مشتركة أبرزها وحدة الدين والعقيدة ووحدة الثقافة والتكوين ووحدة اللغة والتاريخ المشترك وهي كلها عوامل تسهم في تكوين إرادة حقيقية في حياة مشتركة في إطار وحدة وطنية متناغمة.../